الآثارُ المطويَّة

جمَعَها وعلّق عليها ونَشَرَها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

رئيس انطوش جبيل

تصدير

يطل المرء على الوجود ، فيرى النور غامرًا المعمور ، من جبال وتلال ، وأغوار وأنجاد ، ورياض وسهول ، كاشفًا عن جمال الطبيعة بما فيها من لطائف وطرائف ، ومحاسن ومفاتن ، حتى اذا ما شبَّ أدهشته بدائع الخالق في مخلوقاته ، وسبح طائر خياله في أفق بعيد المدى ، تهزهزه اللذّة المتعة ، وتستهيه سكرة الغبطة . ثم ينطوي على نفسه ، فينفرج له الوجود عن مسرح طلق فسيح تقصر العين عن مداه ، تطأ ارضه الملايين من الناس على اختلاف حالاتهم ومشاربهم وأديانهم ، تارة تستفزّهم الافراح فيصفقون ويرقصون ، وطورًا تقدمهم الاتراح فيتململون ويبكون . وهم يعيشون بين آلام وآمال ويأس ورجاء ، ومنازعة وموائمة وموادعة ومسالمة ، ويتجاولون ويضجّون في معترك الحياة الصاخب الزاخر بشتّى الاهواء والمنازع . ونَدَر ما ينتبه المرء الى انه في نهاية شوطه مفقود ، تلك سنّة الله من قبل ومن بعد الى ان يقضي قضاءه وتطوى رقعة الوجود .

والناس فئتان : فئة تستهوي أصحابها مباهج الحياة فتستطيل أعناقهم الى التمتع بطلعة محيّاها والانتشاء بجرعة حُميّاها ، فيستسلمون الى اللذات تقودهم يد الاغواء والاغراء الناعمة الى الغرق في لجّة نعيمها الزائل ، ويغفلون عن انهم معرّضون للتردّي في المزالق والمهابط ، من حيث لا يشعرون وهم أحياء بأنهم اموات ، كأنهم وُجدوا للاستمتاع بالعيش الرحراح في منازل الافراح ، لا

بأسرهم سواه ، ولا ينصرفون إلّا الى نيل مناه ، فيخالون غبَش الليـل نورًا وحصول اللذّة سرورًا ، لأن بصرهم الكليل لا يخرق ظلمة الدياجر ، ولا ينفذ الى اعماق المنابر ، فيظلون قابعين في كِسْر غُرَف الذهول والخمول ، قانعين برخاء البال وبشاشة الحال . تلك هي كلّ امنيّتهم في الحياة لا يرضون عنها بديلًا ولا تغييرًا وتحويلًا .

وفئة تصبو الى النهوض والصعود في المدارج والمراقي العالية بنفس طمّاحة وعزيمة ماضية لا يلامسها ونىً ولا يلابسها ملل ، وتحبّ ان :

« فلاَّ الدنيا بما تستطيعُ من عملٍ يبقى اذا المرءُ ذهبْ »
« إنّما الاعمالُ تاريخُ الفتى تقرأ الاجيالُ فيهِ ما كَتَبْ »

ويأبى أربابها الرضوخ والخنوع للجمود والقعود ، والطرب والتصفيق للنجوم الطوالع ، والمباسم البواسم ، والاستنامة للانشراح والانسراح في فسحات بسطة العيش وخفضه ، لانه ليس من طباعهم الاسفاف والركود وادراك المعالي رخيصة ، ولا الاقتصار على التنعّم بالاطايب والانقياد للذلّ . ويعزّ عليهم ان يمرّوا مرورهم السريع في الدنيا ولا يتركوا لهم في عالم الشمس أثرًا مذكورًا مشكورًا يضمن لهم خلود الذكر على وجه الدهر ، ويخبرنا بأنّ : « لهم علماً وللجهّال مال » وكأن لسان حالهم يقول :

« وسائلِ الناسَ عنّا انّنا نُخَبٌ لنا «الدل» وسوانا اللهوُ واللعبُ »
« وفي المحامد لا يُلفَى لنا بَدَلٌ وما تمدّى حمانا الظرفُ والادبُ » (١)

فانّنا نراهم راغبين وساعين في التحليق الى مسابح النسور حتى لا يُطوى ذكرهم عند طيّهم في القبور ، وهم أعلقُ بحبّ الذكر وخلود الاثر منهم بحبّ الحليلة وطيبها والرقاد في حضنها الرتيع . ذلك من جملة الدلائل على ان النفس نزّاعة بطبيعتها الى الخلود — وهي خالدة .

ان أولي هذه الفئة ينفرون من التشبّه بالمترفين الموسرين الذين يُحجب ذكرهم ملتفًا بأكفان النسيان ، حالما يتوارى وجههم عن العيان ، وينشطون الى كدّ

(١) للشيخ ابي هاشم احمد هاشم .

اذهانهم وإسهاد أجفانهم ، عانين تعباً لاهباً ونصباً لاصباً في سبيل تبوء مقاعد حسن الذكر بين المعالم والمحامد ، مُعرضين عن توسّد الوسائد اللينة والتخطّر بالاطالس والحرائر ، والترهّل بالمآكل والمشارب ، غير عابئين بما يصدفهم من المشاغل والشواغل ، وقد ألفوا إذلالها وإخضاع رقابها العاتية الجاسية بعزم لا يفلّ غربهُ ، لعلمهم ان أعمال الانسان تموت معه إلا الادبيّة منها والعلميّة فتصمد صابرةً صمود ارز لبنان الهازئ بالعواصف والساخر بالزوابع . وهم وحدهم يعيشون ويخلدون، يطويهم الزمن وينشرهم الذكر ، وتتناقل الاجيال آثار اقلامهم وتتحدّث بصفاء أذهانهم وتردّد اسماءهم الى ما شاء الله . وهل من مقارنة أو مشابهة بين كنوز الذهب التي تفنى، وكنوز الأدب التي تبقى؟ فيستمرّ هؤلاء الفوارس مندفعين مطّردين في طريقهم الى الأمام ، مكبّين على دفاترهم وأوراقهم ، لا يلوي حديد شكيمتهم لاوٍ ولا يعترض اندفاع سيرهم معترض . ولا يزالون يجرون ويغذّون حتى يبلغوا أعلى قمّة من نباهة الذكر وجلالة القدر . قال الشاعر :

كم مات قومٌ وما ماتت مآثرهم وعاش قومٌ وهم في الناس أمواتُ

وقد خلّف لنا اولئك الكتّابُ والشعراء والفلاسفة والمؤرّخون ، تراثاً ثميناً من نتاج أدمغتهم وقرائحهم الخصبة ، يصدعُ بعبقريّتهم ونبوغهم ، وينبئ بما عانوا من جهاد ، وحُرموا من رقاد ، وأجروا من مداد ، فسوّدوا آلاف الاوراق البيضاء ، فبرزت من تحت وشي اقلامهم تلك النقط السوداء ، عقوداً متماسكة الاجزاء ، باهرة السناء ، تتضاءل عندها عقود الحسناء .

كم من آثار لهم حجبها عنا مرور الزمن ، فأودعها بطون الخبايا ومطاوي الزوايا ، وقد شوّهت الظلمات محاسنها ، ولكنها لم تقوَ على طمس معالمها ، فارتدتْ عنها كليلةً وباءت بالفشل . وظلّت تلك الآثار راقدةً رقدتها في ثنايا الظلام ، مستغرقة في المنام ، منتظرة يوم النشور، لتثب وثبتها من ضجعة القبور، الى عالم الحياة والنور .

ومن جدّ في التنقيش والاستقراء عن آثار الاسلاف ، لا يصعبُ عليه الظفر بها في منعطفات الخبايا وانتزاعها من يد الاتلاف ، ذخراً ثميناً للاحفاد . وقد

اتفق لنا ان عثرنا ، بعد جهاد وعناء في الاستقصاء ، على الكثير من هذه الآثار العالية الثالية التي كانت محجوبة بأستار الخفاء ، وهي الآن شريدة طريدة ، مبعثرة بين أوراقنا العديدة . فعقدنا العزم على الجري في إثرها والبحث عنها ، وجمع ما تبدد منها ، وابرازها الى عالم الضياء ، بنشرها متسلسلة متلاحقة على صفحات مجلة « المشرق » الغراء ، تحت عنوان : « الآثار المطوئية » ، وارسالها الى القراء مجلوة كالحسناء ، مصقولة كالمرآة ، لم تخلق الايام جدتها ، ولم تصرم الليالي لذتها . وقد علقنا عليها ما تيسر لنا تعليقه رغبةً في تقريبها الى الاذهان . وليس لنا من غرض في ذلك سوى مجد الله وخدمة الادب والعلم والتاريخ ، مقدمين تعبنا له سبحانه وتعالى ، الذي عليه وحده الاتكال ، في كل حال ، واليه المآب والمآل .

الاب الطونيوس شبلي
اللبناني

جبيل — دير سيدة المعونات
في ١٥ آب ، سنة ١٩٥٣

بين فرحات وزاخر

ليس من مجال في هذا المقام ، للتبسُّط في الكلام ، عن هذين الرجلين الناضلين العالمين : القس جبرائيل فرحات الحلبي الماروني الراهب اللبناني (المطران جرمانُس)) والشماس عبدالله زاخر الحلبي الكاثوليكي ، بل نكتفي بان نقول : ان فرحات كان نابغةً من نوابغ الدهر ، ونلتةً من فلتات الزمان ، ونادرةً من نوادره .

هيهات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيلُ

كان شاعرًا موهوبًا فياض القريحة يقول الشعر ارتجالًا . ومن يطالع ديوانه لا يملك نفسه من الاعجاب بما اتاه في غالب شعره من بدائع الاستعارات ، ولطائف التخيلات . وقد اشار اليها الشيخ سعيد الخوري الشرتوني شارح ديوانه في الحواشي التي علقها عليه[1] .

وأما الشماس عبدالله زاخر ، فقد كان رجلًا عالمًا مؤلفًا فذًا مشهورًا بطول الباع في ضروب الجدَل ، ماهرًا بصناعة الطباعة في عصره ، والطباعة مسرح تلعب عليه الافكار . انقطع الى عبادة الله في دير القديس يوحنا الصابغ بالشوير ، عاكفًا على النسك والزهد ، والتأليف والتصنيف . وقد أتى بمطبعة الى هذا الدير أصدرت كتبًا كثيرة بحرفها العربيّ ، كان الزاخر يديرها بنفسه ويعاونه بعض الرهبان[2] . وما زال مثابرًا على خطّة النسك ، غارقًا بين المحابر والدفاتر والاقلام ، حتى ذهب في سبيل كل حي[3] .

---

١) ديوان المطران فرحات . المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٨٩٦ ، في ٥١٧ صفحة . عليك بترجمته المطوّلة « المستطرفات في حياة السيد جرمانس فرحات » للعلّامة الطيّب الاثر الخوراسقف جرجس منّش الحلبي الماروني . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٩٠٦ ، في ٣٦ صفحة كبيرة ، فنيها حدّ الكفاية .

٢) راجع تاريخ مطبعة الشوير (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٢٦٠–٢٦٣)

٣) قد افردت ادارة مجلة « المسرّة » الغرّاء ، عددًا ممتازًا بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لوفاة الشماس عبدالله زاخر ، كان مسرحًا لاقلام بعض الادباء في هذا الرجل (المسرّة ، السنة الرابعة والثلاثون ، الجزء السابع ، عدد تموز ١٩٤٢) . واصدرت ايضًا الرهبانية الحلبية الباسيلية الكريمة ، عددًا خاصًا بزاخر من نشرتها : « حياة وعمل » (العدد ٩–١٠ ، ايلول ١٩٤٨) في ١١٢ صفحة ، بقطع كبير وورق نظيف ، وطبع جلي بمطابع حريصا الزاهرة .

ولا يخفى ان ارض حلب الشهباء، قد أنبتت عصبةً كريمةً من ذوي الفضل والادب والدين والعلم، غذتها بمائها الرائق وهوائها الطيّب وأظلّتها بسمائها الصافية،أخصّهم أولو الشهرة البعيدة،القس جبرائيل فرحات،والشمّاس عبدالله زاخر، والخوري نيقولاوس الصائغ، ومكرديج الكسيح الارمنيّ. كان هؤلاء الاربعة الاقطاب، أو عصبة الادب، منارةً مترامية الضياء، في خلال القرن الثامن عشر، شديدة السطوع واللألاء، ترسل انوار معارفهم وعوارفهم الى جميع الناطقين بلغة الضاد في أنحاء الشرق العربيّ، فأصبحت الشهباء تيّاهة بهم مُدلّةً بأدبهم الرفيع ونتاج قلمهم البليغ. وكانوا من خيرة الاصدقاء الصلحاء الاوفياء الامناء، «والصديق الامين معقل حصين ... لا يعادله شيء، وصلاحه لا موازن له» (سيراخ ٦: ١٤ و١٥)، تربطهم رابطة الوطن والاخاء والوفاء، وتشدّهم أواصر الدين والعلم والفضل في الاخلاق والاذواق، فكانوا يتراسلون ويتهادون تصانيفهم ويتبادلون الآراء والافكار متمسّكين بحبل الصدق والوداد.

وها اننا نرى القس جبرائيل فرحات، يجاوب صديقه مكرديج الكسيح سنة ١٧٢٠، على اهدائه اياه نسخة من تأليف له في حلّ مشكلات الانجيل[١]، بابيات رقيقة دعاه في مستهلّها: الخلّ الوفيّ[٢]، ويمدحه بقصيدة اخرى مطلعها:

أمكرديجُ زدْ فضلاً فأنت الفضل في الناس[٣]

ويجيب ايضاً تلميذه وصديقه الخوري نيقولاوس الصائغ الذي وصلته رسالة فرحات بعد وفاته، فبكاه ورثاه متفجّعاً عليه، بقصيدة من عيون الشعر، براعة استهلالها:

ألا إنّ مغنى المجد ثُلّت دعائمُهْ وربع سداد الفضل أعفت معالمُهْ
وقُوّضَ ركنُ الدين واختال أسُّهُ وأقوت مبانيه وهُدّت عزائمُهْ
وعُطّلَ جيدُ المجد واثتال عِقدُهُ ورُشّحنَ أثواب الحداد كرائمُهْ
هوى علَمُ العلم الوطيد من الورى غداةَ قضى من عالَم الكون عالِمُهْ[٤]

١) في خزانة كتبنا بدير سيّدة المعونات – جبيل – نسخةٌ خطية من هذا الكتاب.
٢) الديوان ص ٤٦٦
٣) فيه ص ٢٢٩
٤) ديوان الخوري ص ٢٤٩، الطبعة السادسة، في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩٠، في ٢٣٠ صفحة.

ونقرأ لفرحات قصيدة مندمجة المعنى والمبنى ، مدح بها صديقه الشماس عبدالله زاخر ، أرسلها اليه سنة ١٧٢٠ ، ونرى زاخراً يجاوبه عليها بقصيدة من نفس البحر والقافية ، رنّانة الابيات ، مشرقة المعاني ، صادقة الشعور ، تدخل الآذان بلا استئذان ، وتحرك سواكن الاذهان ، يترقرق شعرها جارياً: جريَ المياه على بساط اخضر . ليس فيها أدنى تكلّف او تعسّف ، مّما يدلّ على اضطراد قريحة « الزاخر » الزاخرة بكل علم وفنّ . وقد خلع بهذه القصيدة على صديقه فرحات ، بُرداً منمناً مطرَّز الحواشي وعطّط البطائن والمنابن ، بخيوط البلاغة والسهولة ورقّة العاطفة التي اجادت حبكها أسلة يراعه المبراع . لقد أثنى زاخر على فرحات ومدحه بما هو اهلٌ له وجديرٌ به ، ولم ينفحه بغير ما يتحدث فيه وينطبق عليه لئلا يقال له : « إن اصدق الشعر اكذبه » .

ولم يجلْ في خاطرنا او يطرق مسامعنا ، ان الشماس عبدالله زاخر ، المنكبّ على دراسة التاريخ والجدَل ، الطارق في تفاسير الالهيات ، كان شاعراً مطبوعاً تنقاد له رقاب القوافي انقياد الإماء والجواري ، حتى رأينا له هذه القصيدة السمحاء التي يجاوب بها فرحات على قصيدته ، منسوخة على ورقات بيضاء في آخر ديوان ابي العلاء المعري المخطوط بخطّ عربي جميل شبيه بالخطّ الكنسي المسمّى « لزوم ما لا يلزم » ، الموجود في خزانة كتب دير الشير – بكفيا – سوق الغرب ، العامرة ، تحت رقم ج ٣–٨ . ان هذا الكتاب مكتوب بحبر اسود ، وعناوينه بحبر احمر ، على ورق عادي صقيل ، ومجلّد بجلد احمر قديم مرصّع بالنقوش ، يقع في ٧٢١ صفحة ، طوله ٢١ سنتمتراً ، وعرضه ١٧ سنتمتراً ، والصفحة منه تحتوي ١٧ سطراً ، وهو بقلم ناسخ واحد من اوّله الى آخره ، ومقدمته هي لابي العلاء المعرّي نفسه ، تقع في ٣٥ صفحة . جاء في صفحة ٧٢١ الاخيرة منه ما يأتي :

« تمّ لزوم ما لا يلزم من نظم ابي العلاء احمد بن عبدالله بن سليمن التنوخي المعرّي في الزهد والفطنة وذمّ الدنيا . والحمد لله ربّ العالمين » .

وعلى ظهر هذه الصفحة الاخيرة ، بيتان من الشعر لمصطفى بريّ بخطّ مختلف ، هما :

يا مدّعي فنَّ القريض فضيلةً ما الشعرُ إلّا ذِلّةٌ وخبالُ
فالمدحُ كذبٌ والرثاء مناحةٌ والهجوُ اثمٌ والمديحُ سؤالُ

وورد في صفحة ٧٢٣ هذه العبارة ، بخط مختلف ايضاً وهي :

« استكتبهُ بمالهِ لنفسهِ العبد الحقير المقدسي نقولا ابن المقدسي نعمه ابن الموري حنا الحموي من الروم ملّةً سنة ١٧٨٥ » .

ثم ترد بعض قصائد لفرحات مطبوعة في ديوانه ، منها قصيدته في زاخر ، وقصيدتان لزاخر جوابيّتان لمكرديج وفرحات وهما غير معروفتين ولا منشورتين، وكلّها مرقومة بخط عربي كنسيّ دقيق من صفحة ٧٢٤ الى آخر صفحة ٧٢٧ .

والظاهر ان « الزاخر » لم ينصرف الى الشعر إلا « اذا اقتضته مع الاسباب اوقاتُ » فلا يقف عندئذٍ مكتوف اليدين امام من يراسلونه شعراً ، فكان يبادلهم بمثله مجاراةً ومباراةً لهم لئلا يظنّوا به العجز عن النظم مع قدرته عليه واجادته . ومما بان لنا من مطالعة حياة زاخر ومجادلاته، ان طباعه كانت نزّاعة الى القسوة والحدّة اللائحة آثارها في كتاباته — وكتابة المرء منبئة عن اخلاقه — الدالّة على الاباء والانفة من المدح والاستجداء ، شأن البعض ممن ألفوا به الاستجداء او التزلّف الى الكبراء والعظماء لمجرّد انهم اغنياء او وجهاء، ليستأهلوا الثناء والاطراء . لذلك كان وصف زاخر لفرحات بانه رجل دين وعلم معاً ، بشهادةً صادعةً بالحق صادرةً عن اختبار واقتناع، لا عن مجاملة او انتفاع ، فلها اذن قيمتها ووزنها . اما قصيدة فرحات في زاخر ، فصدّرة هكذا : « قال القس جبريل اللبناني ممتدحاً الشماس عبدالله زاخر » وقصيدة زاخر الجوابية له معنونة كذا : « قال الشماس عبدالله زاخر يُجيبه » وقصيدته لمكرديج : « وقال الشماس عبدالله زاخر ، وقد ارسلها للشماس مكرديج جولب ابيات » .

ويحسن بنا ان ننشر اولاً قصيدة فرحات لزاخر ، وان تكن مطبوعة في ديوانه[1] ثم قصيدة زاخر الجوابيّة لفرحات ، ليدرك القارئ بداهةً معنى ومرمى القصيدتين في وقت واحد ، اللتين هما خطاب وجواب . وسننشر ايضاً جواب زاخر الشعريّ لمكرديج .

١) ديوان المطران ، صفحة ١٥٨

قصيدة فرحات لزاخر

كُفَّ العتابَ وكُنْ عليَّ شهيدا | إذ شفَّ فيك الهائمَ المعمودا
صبًّا تقلّبَ باتَ فيك مُقلَّبًا | شوقًا وباتَ فؤادُه مفؤودا
ظبيٌ غرامي فيهِ غيرُ مُذمَّمٍ | مُذْ باتَ فيهِ مُمدَّحًا محمودا
أضحى بموقفِ قدرِهِ وكمالِهِ | ما بينَ أربابِ الكمالِ عميدا
ثمّتْ محاسنُ خَلقِهِ في خُلقِهِ | يتباريانِ سعادةً وسعودا
باللهِ عبدَالله كُنْ متأبِّدًا | فالله يُولي عبدَهُ التأييدا
اذ كنتَ يا دُرًّا بأصدافِ المنى | تُلقي الينا اللؤلؤَ المنضودا
من بحرِ علمٍ زاخرٍ بفضائلٍ | كُنْ يا ابنَ زاخرَ في الأنامِ فريدا
جاءتك من إنعامِ ربِّكَ نعمةٌ | عَقَدَت عليكَ كتائبًا وبنودا
صاغت لكم آلاؤها من ربِّها | دونَ الأنامِ قلائدًا وعقودا
طبعًا كماءِ المُزنِ يصفو رقّةً | ومحجى بآراءِ العلومِ سديدا
سامَ السُّمُوَّ بجدِّهِ وجدودِهِ | أكرِمْ بهِ جدًّا نما وجدودا
وأتى ببرهانِ النظامِ مُفنِّدًا | فيهِ ترى البرهانَ والتفنيدا (١)
وأمانةٍ بيعيّةٍ روميّةٍ | تَذَرُ القريبَ من الضلالِ بعيدا
يا ابنَ الأكارمِ كابرًا عن كابرٍ | أنتَ المُفدّى طارفًا وتليدا
خذها اليكَ، فدتكَ، لبنانيّةً | جاءت وكانَ مديحُكَ المقصودا

قصيدة زاخر الجوابية لفرحات

« قال الشماس عبدالله زاخر يجيبه » :

جاءت وقد نثرَت عليَّ عقودا | بكرٌ فكانت لؤلؤًا منضودا
دُرًّا سمَتْ حسنًا ولذّت مسمعًا | واستعذبت نظمًا سما ونشيدا
رقّت فأرّقتِ المشوقَ الى الذي | لا زالَ فيهِ هائمًا معمودا
السيّدُ الندبُ الذي شَدَهَ الورى | فضلًا فأضحى في الأنامِ وحيدا
كنزُ المحاسنِ والمكارمِ والتقى | بحرُ العلومِ المتزيّدُ ورودا
مولى حباهُ اللهُ فضلًا ساميًا | فأتى فكانَ زمانُهُ المسعودا
يبني لبيتِ الفضلِ فخرًا قوّضت | منهُ الجهالةُ، فازدهى تشييدا

١) اشارة الى تأليف زاخر بُسّي : البرهان الصريح .

وُيعيدُ آثارَ العلومِ حنانُنا | أضحت بها الأيّامُ تحسُنُ جيدا
فتمامَ يا مولايَ فضلًا جئتَهُ | بين الأنامِ موصَّدًا وصليدا (١
أكسوتني ثوبَ الثناءِ (٢ مديجًا | من وصفِ فضلٍ بُتَّ فيهِ فريدا
أنشأتَ ذكرًا في الورى متقدِّمًا | وسموتَ شأوًا لاحقًا وطريدا
بصناعةٍ عربيّةٍ ادبيّةٍ | بَعُدَتْ مَنىً وأرتْ لبيدَ بليدا
وبراعةٍ حكميّةٍ علميّةٍ | ضاءت منىً وسمت هدًى منصودا
وفصاحةٍ ذهبيّةٍ علنيّةٍ | ببديعٍ وعظٍ يفلقُ الجلمودا
ورياضةٍ نسكيّةٍ (٣ عمليّةٍ | وعجيبةٍ عنها نرى التقليدا
لو رامت المدّاحُ حصرَ صفاتهِ | أعياهمُ من كثرةٍ تعديدا
قد ضمَّ اضدادَ القلوبِ تآلفًا | بعجيبةٍ أبدى بها التوحيدا
اذ كان فيهِ فعلُ روحِ سميّهِ | جبريلَ اذ هو عنهُ ليس بعيدا
بطهارةٍ وقداسةٍ ورئاسةٍ | ورسالةٍ نلنا بها التأييدا

٥

يا سيّدًا وأبًا تملَّكَ حبُّهُ | قلبي فأقسم لا يكونُ لدودا
اعذرْ تجاسرَ جاهلٍ متطاولٍ | لسموِّ مدحكَ واترك التفنيدا
واسلمْ ودُمْ وارقَ الكمالَ تناهيًا | وأعطفْ وكُنْ بين الأنامِ عميدا

قصيدة عبدالله زاخر الجوابية لمكرديج الكسبي الارمني

«وقال الشماس عبدالله زاخر وقد أرسلها للشماس مكرديج جواب ابيات»(٤):

أنثارُ دُرٍّ أم حَبابُ مدامٍ | وحلالُ سحرٍ أم بديعُ نظامِ
أم روضةٌ فيحاءُ جادَ ربيعُها | فبدت أزاهرُها عن الأكمامِ
أم نفحةُ الحبِّ التي فعلت بنا | ما تفعلُ الارواحُ بالأجسامِ

---

١) الموصَّد : المجدر. والصليد : المنفرد ، اي ان الممدوح هو خدرُ الفضل المنفرد.

٢) اكسى الثوبَ فلانًا ألبسهُ اياهُ .

٣) اشارة الى مؤلَّف لفرحات ، يسمَّى : « الرياضة الروحية » في مكتبتنا نسخة منهُ خطيّة . ومن عداد مؤلفاته رسالة في ايضاح رسوم الكمال ، في مكتبتنا ثلاث نسخ منها خطيّة ، نشرها في هذه السنة ، ١٩٥٣ ، الخوري ميشال بريدي . سنفرد لهذا الكتاب مقالًا خاصًا .

٤) اننا لم نرَ قصيدة مكرديج للزاخر ، ويظهر ان الناسخ لم يظفر بها ليثبتها كما اثبت قصيدة زاخر الجوابية عليها ، ولا شكَّ ان قصيدة مكرديج ميميّة القافية .

رقّتْ هوًى فسرَت برقّةِ لطفها ضمن الحشا وتمكّنت بعظامي
حيّتْ فأحيتْ مهجةً لي عشقُها وطرحتُها عني الى الإعدامِ
وبدَتْ لنا تُثري لأنفاسِ الذي لذّت لديَّ بهِ شجونُ غرامي
الألمعيُّ الندبُ ذو الحلمِ الذي رقّتْ ودقّتْ عن ذكا الأفهامِ
اعجوبةُ الزمنِ الذي سعدت بهِ أيامُهُ فزها على الأعوامِ
حاز النباهةَ والعفافةَ والتقى حتى غدا علَمًا من الأعلامِ
لا تنظرنَّ لضعفهِ في خَلقهِ بل فانظرنَّ الى علاهُ السامي
هممٌ الى طلب المعالي قصّرت عن شأوها السامي خُطى الأقدامِ
وذُكا بادراك الحقائق أسفرت أنوارهُ رشدًا بكلِّ مقامِ

٥

فتَامَ يا صنو التقى وأخا الحجى وبدَ المدى ونتيجةَ الأيّامِ
فلقد أتيتَ منابرَ الأفضال فا م رغةً فكنتَ لهنَّ خيرَ إمامِ
لاعيبَ فيك سوى السخاءِ فلم تزل تُعزي الينا فضائلكَ المتسامي
يبديعِ مدحٍ أنت حقًّا أهلُهُ في شرعِ أهلِ النقضِ والإبرامِ
فأسلمْ ودُمْ مترقيًا أوج العلى وأسمُ وسُدْ بالفضلِ بين كرامِ
متسربلًا ثوبَ الكمال موشّحًا نِعَمًا حظيتَ بها بحسنِ ختامِ

[المقال صلة]

الشماس عبدالله زاخر

١٦٨٤ - ١٧٤٨

حوى [illegible] [illegible] وانفك تجانسا   فان ذاقت الطيب والملك فائح
ونحوا [illegible] [illegible] [illegible] غوره   الى انقر لم يجنح [illegible] عنه جانح
ونقشا وزينه وشعر رسائل   ترسل رباها النحور النوافح
وحاز [illegible] الابداع براعة   أبت أن تجاريه الفحول القرائح

(الخوري نقولاوس الصائغ)